

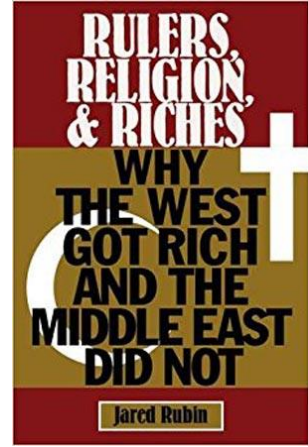


شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK  
www.iraqieconomists.net

## أوراق في التاريخ الاقتصادي

جاريد روبن\*: لماذا أصبح الغرب ثرياً وعجز الشرق الأوسط عن ذلك؟



ترجمة: مصباح كمال\*\*

### تقديم للترجمة

نشر هذا العرض في موقع منتدى البحوث الاقتصادية Economic Research Forum بتاريخ 1 تشرين الأول 2017.

<https://theforum.erf.org.eg/2017/09/10/west-got-rich-middle-east-not-implications-twenty-first-century/>

كاتب العرض، جاريد روبن، هو مؤلف الكتاب، وهو امؤرخ اقتصادي وأستاذ مشارك في جامعة چاپمان في الولايات المتحدة الأمريكية.

Jared Rubin, *Why the West got rich and the Middle East did not* (Cambridge: Cambridge University Press, 2017)

وقد تمَّ عرض الكتاب في موقع إيلاف:



## شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK  
www.iraqieconomists.net

### أوراق في التاريخ الاقتصادي

عبد الاله مجيد

<http://elaph.com/Web/Culture/2017/8/1163247.html>

وتمت الإشارة له، مع عرض لأفكار ماكس فيبر، في موقع مجلة الجديد الإلكترونية:  
ناجح العبيدي  
الإصلاح الديني والتنمية الاقتصادية

<http://aliadeedmagazine.com/?id=2252>

وكنت قد ترجمت سابقاً عرضين لكتابين لهما علاقة بموضوع العرض الحالي، نشرتا في موقع شبكة الاقتصاديين العراقيين، وهما:

تيمور كوران: الإسلام والثروة: المعضلات الاقتصادية للإسلام

<http://iraqieconomists.net/ar/2016/01/23/%d8%b9%d8%b1%d8%b6-%d9%83%d8%aa%d8%a7%d8%a8-%d8%aa%d9%8a%d9%85%d9%88%d8%b1-%d9%83%d9%88%d8%b1%d8%a7%d9%86%d8%8c-%d8%a7%d9%84%d8%a5%d8%b3%d9%84%d8%a7%d9%85-%d9%88%d8%a7%d9%84%d8%ab%d8%b1%d9%88%d8%a9/>

تيمور كوران: التباين المديد: كيف أعاققت الشريعة الإسلامية الشرق الأوسط

<http://iraqieconomists.net/ar/2015/12/16/%d8%b9%d8%b1%d8%b6-%d9%83%d8%aa%d8%a7%d8%a8-%d8%aa%d9%8a%d9%85%d9%88%d8%b1-%d9%83%d9%88%d8%b1%d8%a7%d9%86%d8%8c-%d8%a7%d9%84%d8%aa%d8%a8%d8%a7%d9%8a%d9%86-%d8%a7%d9%84%d9%85%d8%af%d9%8a%d8%af/>

### لماذا أصبح الغرب ثرياً وعجز الشرق الأوسط عن ذلك؟

إن حكام أكبر ثلاثة اقتصادات في الشرق الأوسط في الوقت الحاضر ينظرون جميعاً إلى السلطات الدينية كمصدر رئيس للشرعية. واستناداً إلى تحليل اقتصادي واسع النطاق، تسبر هذه الورقة ما قد يعنيه ذلك بالنسبة للمستقبل الاقتصادي للمنطقة. ويتمثل أحد المخاطر البارزة [لهذا المستقبل] في استبعاد أولئك الأشخاص الذين يدفعون باتجاه السياسات التي تعزز النمو الطويل الأجل من مجال المساومة السياسية political bargaining.



## أوراق في التاريخ الاقتصادي

واحدة من أهم الأسئلة في الاقتصاد هي: لماذا بعض المجتمعات ثرية جداً والأخرى فقيرة جداً؟ وعلى الرغم من أن لهذا السؤال انعكاسات واضحة على عالم اليوم، فإنه بطبيعته مسألة تاريخية. ويكمن الجواب، جزئياً، في شمال غرب أوروبا في القرنين السابع عشر والتاسع عشر، حيث تشكلت أولى الاقتصادات الحديثة.

ولكن الإجابة الكاملة يجب أن تنظر أيضاً في سبب عدم ظهور الاقتصاد الحديث في أجزاء أخرى من العالم. وينطبق هذا بشكل خاص على الشرق الأوسط، الذي كان لقرون من انتشار الإسلام متقدماً على أوروبا الغربية من حيث الثروة، والتكنولوجيا، ورأس المال البشري والثقافة.

يعالج كتابي الأخير - **حكام ودين و ثروات: لماذا أثرى الغرب وبقى الشرق الأوسط فقيراً؟** *Rulers, Religion, and Riches* - هذه القضايا. وهو بصراحة ليس الكتاب الأول الذي يتناول مسألة لماذا بعضهم أثرياء جداً وغيرهم فقراء جداً؛ وهو لن يكون آخر كتاب. ولكنه يقدم رؤى جديدة حول انقلاب المصائر بين الشرق الأوسط وأوروبا الغربية.

يسأل الكتاب السؤال (المثقل): ما الدور، إن وُجد، الذي لعبه الإسلام في انقلاب المصائر؟ باختصار، إن الجواب الذي يقدمه الكتاب هو أن المسؤولية (أو الإشادة) لا تكمن في مبادئ الإسلام والمسيحية لما آلت إليه المصائر الاقتصادية المقارنة للشرق الأوسط وأوروبا، وإنما الدور الذي لعبه الدين في السياسة كان مهماً لمساراتهما الاقتصادية.

إن المنطق الذي ينتظم حجتي الأساسية واضح. أنظر للسياسة باعتبارها لعبة مساومة بين الحاكم الذي يريد البقاء في السلطة، والناس في المجتمع الذي يمكنهم أن يبقوه في السلطة. هؤلاء الناس إما لديهم القدرة على إضفاء الشرعية على الحاكم (النخبة الدينية، على سبيل المثال) أو توفير الإكراه (الجيش، على سبيل المثال). إن نتيجة الصفقة - قوانين وسياسات المجتمع - سوف تعكس من هو على طاولة المساومة وما هي رغباتهم.

ولأسباب تاريخية، فإن الإسلام يلعب دوراً جيداً بشكل خاص في إضفاء الشرعية على الحكم السياسي. فقد تطور الإسلام مع الإمبراطورية، وعكست العقيدة الإسلامية المبكرة هذه الحقيقة. وهناك أحاديث هامة (مستندات أساسية للإسلام) تدعو إلى أنه ينبغي للمرء أن يتبع حاكماً يتصرف كمسلم جيد، ولكن ينبغي أن يعزل الحاكم الذي لا يتصرف كمسلم جيد.



## أوراق في التاريخ الاقتصادي

ليس هناك مذهب مماثل في المسيحية، الذي ارتكزت عليه الإمبراطورية الرومانية، مع مؤسسات راسخة ووسائل لإضفاء الشرعية. في الواقع، لم تكن المسيحية في القرون الثلاثة الأولى من عمرها في وضع يسمح لها بإضفاء الشرعية على الحكم الروماني، ولهذا السبب، فإن العقيدة المسيحية صامته إلى حد كبير حول هذه المسألة.

بالتأكيد، كان الباباوات في القرون الوسطى كانوا يشاركون بعمق في السياسة الدنيوية، ولكن الحقيقة الرئيسية ليست أن المسيحية غير قادرة على إضفاء الشرعية على الحكم: هي ببساطة ليست فعالة كما هي في الإسلام. لهذا السبب، استخدم حكام الشرق الأوسط تاريخياً الشرعية الدينية بدرجة أكبر بكثير من نظرائهم المسيحيين.

ماذا يعني ذلك بالنسبة للنتائج الاقتصادية؟ في بعض الظروف، فإن إضفاء الشرعية الدينية مفيدة للتنمية الاقتصادية، كما يحتمل أن تكون في القرون الأربعة الأولى للإسلام. وبالمقارنة مع الأوضاع ما قبل الإسلام، حيث كان الحكم متشظياً في الشرق الأوسط، كانت الفكرة الموحدة المرتبطة بالإسلام مفيدة بالتأكيد للاقتصاد.

لقد ساعد الانتشار المشترك للإسلام والإمبراطورية - الذي انتشر في حد ذاته جزئياً بسبب قوة الشرعية الدينية - على إقامة شبكات تجارية وشبكات اجتماعية-دينية، فضلاً عن العملات واللغات والأوزان والمقاييس المشتركة التي يمكن أن تتغلب على قضايا الثقة trust وتكاليف المعاملات transaction costs المرتبطة بالتبادل التجاري البعيد المدى. ونتيجة لذلك، كان العراق المسلم وسوريا وإسبانيا أكثر ثراءً من جيرانهم المسيحيين.

ومن الصحيح أيضاً أن السلطات الدينية لا ترغب عموماً في وضع قوانين وسياسات تحبذ التنمية. ولم تكن أنواع القوانين والسياسات التي تعمل في صالح النمو في الفترة الممتدة من القرن السابع إلى العاشر مناسبة بالضرورة لاقتصاد أكثر دينامية.

ومع ذلك، لم تجد السلطات الدينية الإسلامية، شأنها في ذلك شأن أي مجموعة مصالح أخرى ذات سلطة سياسية، أن من مصلحتها التفاوض على تغييرات في القوانين والسياسات، خاصة عندما تحمل هذه التغييرات ما قد يهدد موقفها. ويحلل كتابي تاريخ المطبعة والقيود المفروضة على أخذ الفائدة كحالتين تعكسان هذه الفكرة.



## شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK  
www.iraqieconomists.net

### أوراق في التاريخ الاقتصادي

وفيما يتعلق بأوروبا الغربية، فأنا أحاجج بأن الطريق إلى النجاح الاقتصادي بدأ بجدية عندما لعبت النخبة الدينية، بعد الإصلاح الديني، دوراً أكثر محدودية في الحكم. لم يكن المفتاح [لهذا التغيير] استبعاد الدين من السياسة، ولكن في حقيقة أن النخبة الاقتصادية في البرلمانات حلت محل الكنيسة كمصدر أساسي للشرعية.

أعضاء النخبة الاقتصادية لديهم رغباتهم الخاصة، وكثير منها ضارة بالنمو - على سبيل المثال، الاحتكارات للصناعات المفضلة. ولكنهم يريدون أيضاً، لأسباب أنانية تماماً، قوانين وسياسات تفيد التنمية الاقتصادية، مثل حماية حقوق الملكية، والاستثمار في السلع العامة، وقانون محايد نسبياً (على الأقل فيما يتعلق بالتمويل).

تساعد هذه الأفكار في تفسير لماذا ولد الاقتصاد الحديث في اثنين من الدول البروتستانتية: إنجلترا وجمهورية هولندا. فحتى معظم الدول الكاثوليكية في أوروبا الغربية، في الواقع، شهدت تراجعاً في حين بدأت اللغة الإنجليزية والهولندية بالصعود. على سبيل المثال، سقطت إسبانيا وإيطاليا بشكل كبير وراء جيرانهما البروتستانتين على الرغم من أنهما كانتا متقدمتان لقرون طويلة. الأهم من ذلك، أن الاقتصاد الحديث لم يظهر بالتأكيد في الشرق الأوسط، على الرغم من السبق على الأقل حتى سنة 1000 م.

في حين أن الكتاب يبحث في المقام الأول عن سبب هذه النتيجة التي نشأت في التاريخ، فمن الواضح أن الحجج التي أقدمها لها آثار على مصائر الشرق الأوسط في القرن الحادي والعشرين. فالدين ما يزال يلعب دوراً هاماً في إضفاء الشرعية على الحكم السياسي في الشرق الأوسط. ويتطلع حكام أكبر ثلاثة اقتصادات في المنطقة - تركيا وإيران والسعودية - إلى السلطات الدينية كمصدر رئيسي للشرعية.

تقدم تركيا حالة مفيدة بشكل خاص، حيث أن الشرعية الدينية أصبحت في الآونة الأخيرة فقط جزءاً من قائمة الخيارات للحاكم في محاولة لتأمين حكمه - وقد استخدمها الرئيس أردوغان على نحو فعال. وعلى الرغم من أن تركيا جمهورية علمانية منذ سنة 1923، فقد أصبحت في النصف الأخير من العقد نظاماً استبدادياً اكتسب شرعيته جزئياً من خلال اللجوء إلى العقيدة الدينية التقليدية.



## شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK  
www.iraqieconomists.net

### أوراق في التاريخ الاقتصادي

سيظل البرنامج التركي موضوعاً قائماً في المستقبل المنظور في الشرق الأوسط. وحتى عندما يتم إنشاء بعض مظاهر الديمقراطية، هناك دائماً إغراء الشرعية الدينية لحاكم يريد أن يتبع سياسات لا تحظى بشعبية أو منافس يريد إطاحة النظام الحاكم.

ماذا يعني ذلك لمستقبل اقتصادات الشرق الأوسط؟ في المدى القصير، سيكون العديد من هذه الاقتصادات في مأمن من الاضطرابات بفضل احتياطياتها النفطية الضخمة. لكن التوقعات المتوسطة والطويلة الأجل تبدو أشد وطأة، إذ أن بروز الوقود البديلة يؤدي إلى انخفاض الطلب على النفط، ويزيد التقدم التكنولوجي الإمدادات من خارج المنطقة. كيف سيتفاعل القادة السياسيون مع هذه التغيرات، وماذا ستعني ردود أفعالهم بالنسبة لاقتصاداتهم؟

هناك سببان يدعوان إلى التشاؤم أكثر من التفاؤل بشأن المستقبل الاقتصادي والسياسي للشرق الأوسط. أولاً، تمّ تبديد جزء كبير من الفرص الاقتصادية التي أتاحتها طفرة الموارد لمرة واحدة. وعلى الرغم من تنويع دولة الإمارات العربية المتحدة مؤخراً لمحفظتها الاقتصادية، فإن معظم دول الشرق الأوسط الغنية بالنفط ما تزال تعتمد اعتماداً كبيراً على عائدات النفط من أجل البقاء في عالم يتصف بعائدات منخفضة. ولذلك ستكون الجهود الرامية إلى تنويع اقتصاداتها أساسية في هذه العملية.

ثانياً، مع جفاف عائدات النفط وتناقص قدرة الحكام على شراء الدعم عن طريق الإعانات والكسب غير المشروع، فإن احتمالات الاعتماد بشكل أكبر على الشرعية الدينية مرتفعة. وهذا يعني استبعاداً حصرياً لأولئك الناس الذين يدفعون باتجاه يستهدف النمو في الأجل الطويل من مجال المساومة السياسية: قادة الصناعة التحويلية والسياحة والتمويل والتعليم العالي وما إلى ذلك. هنا يأمل المرء أن يكون هذا التكهن خاطئاً.

\* أستاذ مشارك في جامعة چاپمان في الولايات المتحدة الأمريكية.

\*\* كاتب في قضايا التأمين

حقوق النشر محفوظة لشبكة الاقتصاديين العراقيين. يسمح بإعادة النشر بشرط الإشارة إلى

المصدر . 2 آذار 2018

<http://iraqieconomists.net/ar/>